الذنوب كتر من الاحراق على النار والكسر على الانكسار والاغراق على الماء
فساد البدن على السموم والامراض على الاسباب الجالبة لها وقد تقارن المضرة
للذنب وقد تتاخر عنه اما يسيرا او مدة كما يتاخر المرض عن سببه او يقارنه
وكثيرا ما يقع الغلط للعبد في هذا المقام ويذنب الذنب فلا يرى اثره عقيبه
ولا يدري انه يعمل عمله على التدريج شيئا فشيئا كما تعمل السموم والاشياء الضارة
حذو القذة بالقذة فان تدارك العبد نفسه بالادوية والاستفراغ والحمية
والا فهو صائر الى الهلاك هذا اذا كان ذنبا واحدا لم يتداركه بما يزيل اثره فكيف
بالذنب على الذنب كل يوم وكل ساعة والله المستعان **فصل** فدونك
فاستحضر بعض العقوبات التي رتبها الله سبحانه على الذنوب وجوز وصول بعضها
اليك واجعل ذلك داعيا للنفس الى هجرانها وانا اسوق لك منها طرفا يكفي العاقل مع
التصديق ببعضه فمنها الختم على القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار و
الاقفال على القلوب وجعل الاكنة عليها والرين عليها والطبع وتقليب
الافئدة والابصار والحيلولة بين المرء وقلبه واغفال القلب عن ذكر
الرب وانساء الانسان نفسه وترك ارادة الله تطهير القلب وجعل الصدر
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وصرف القلوب عن الحق وزيادتها
مرضا على مرضها واركاسها ونكسها بحيث تبقى منكوسة كما ذكر الامام
احمد عن حذيفة بن اليمان انه قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج ازهر
فذلك قلب المؤمن وقلب اغلف فذلك قلب الكافر وقلب منكوس فذلك قلب
المنافق وقلب تمده مادتان مادة ايمان ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما
ومنها التثبيط عن الطاعة والاقعاد عنها **ومنها** جعل القلب اصم لا يسمع
الحق ابكم لا ينطق به اعمى لا يراه فتصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه
غيره كالنسبة بين اذن الاصم والاصوات وعين الاعمى والالوان ولسان الاخرس
والكلام وبهذا يعلم ان الصمم والبكم والعمى للقلب بالذات والحقيقة وللجوارح
بالعرض والتبعية فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وليس
المراد نفي العمى الحسي عن البصر كيف وقد قال الله ليس على الاعمى حرج وقال عبس

وتولى

عبس وتولى ان جاءه الاعمى وانما المراد ان العمى التام في الحقيقة عمى القلب حتى ان عمى
البصر بالنسبة اليه كلا عمى حتى انه يصح نفيه بالنسبة الى كماله وقوته كما قال صلى الله عليه وسلم
ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقوله ليس المسكين بالطواف
الذي ترده اللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذي لا يسال الناس ولا يفطن له فيتصدق
عليه ونظائره كثيرة والمقصود ان من عقوبات المعاصي جعل القلب اعمى اصم ابكم **ومنها**
الخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه فيخسف به الى اسفل سافلين وصاحبه لا
يشعر وعلامة الخسف به انه لا يزال جوالا حول السفليات والقاذورات والرذائل
كما ان القلب الذي رفعه الله وقربه اليه لا يزال جوالا حول البر والخير ومعالي الاعمال
والاقوال والاخلاق **قال** بعض السلف ان هذه القلوب جوالة فمنها ما يجول
حول العرش ومنها ما يجول حول الحش ومنها مسخ القلب فيمسخ كما تمسخ الصورة
فيصير القلب على قلب الحيوان الذي شابهه في اخلاقه واعماله وطبيعته فمن
القلوب ما يمسخ على خلق الخنزير لشدة شبه صاحبه به ومنها ما يمسخ على
خلق كلب او حمار او حية او عقرب وغير ذلك **وهذا** تاويل سفيان بن عيينة
في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال منهم من
يكون على اخلاق السباع العادية ومنهم من يكون على اخلاق الكلاب واخلاق
الخنازير واخلاق الحمير **ومنهم** من يتطوس في ثيابه كما يتطوس الطاووس في ريشه
ومنهم من يكون بليدا كالحمار **ومنهم** من يؤثر على نفسه كالديك **ومنهم** من يالف ويؤلف
كالحمام **ومنهم** الحقود كالجمل **ومنهم** من هو خير كله كالغنم **ومنهم** اشباه الذئاب **ومنهم**
اشباه الثعالب التي تروغ كروغانها **وقد** شبه الله اهل الجهل والغي بالحمر تارة
وبالكلب تارة وبالانعام تارة وتقوى هذه المشابهة باطنا حتى تظهر في الصورة الظاهرة
ظهورا خفيا يراه المتفرسون ويظهر في الاعمال ظهورا يراه كل احد ولا يزال يقوى
حتى تستشنع الصورة فتنقلب له الصورة باذن الله وهذا هو المسخ
التام فيقلب الله سبحانه الصورة الظاهرة على صورة الحيوان كما فعل باليهود
واشباههم ويفعل بقوم من هذه الامة يمسخهم قردة وخنازير فسبحان
الله كم من قلب منكوس وصاحبه لا يشعر وقلب ممسوخ وقلب مخسوف به وكم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)